آفاق المعرفة



جولة أثرية في إشبيلية عاصمة المعتمد

د. عفيف البهنسي *

*مدينة إشبيلية التي يطلق عليها بالإسبانية سيفيليا **Sevillia**، عريقة بقدمها، وهي ترجع إلى عصر الرومان، ويذكر المؤرخون أن إشبيلية كانت تحمل اسم هيسباليس **Hispalis** أيام الرومان، ثم أصبح اسمها سباليس **Spalis** أيام الفيزكونت، ومن المؤكد أن هذه المدينة كانت موجودة أيام القرطاجيين قبل الرومان، ويذكر المؤرخ ايسيدور الإشبيلي في القرن السادس قبل الميلاد أن معنى هذه الكلمة ((المدينة فوق الأركان **Palis**)). وفي الواقع تم اكتشاف أركان راسخة في الأرض، ومن المحتمل أنها تعود إلى ذلك العهد، إذ إنها كانت ضرورية لترسيخ أبنية المدينة لمجابهة فيضان مياه النهرين.*

---

* باحث من سورية.

العمل الفني: الفنان أحمد الياس.



ثم توسعت المدينة ثمانية كيلومترات. وكانت مدينة مسورة تحوي ساحة (فوروم) وباقي معالم المدينة الرومانية، وكانت تصدّر الحبوب. ومنذ ذلك الوقت حملت اسم هيسباليس. ولقد أطلق عليها يوليوس قيصر اسم المستعمرة، أي أصبحت تحمل ميزات المدينة الرومانية.

إن إيتاليكا التي تقع في الشمال، أخذت بالتوسع السكاني والامتداد باتجاه النهر في المنطقة التي أطلق عليها العرب اسم تيريانا وكان اسمها تريان نسبة إلى الإمبراطور تراجان، وهي مقسومة بالنهر إلى قسمين، وتتمتع بالاستقلال الإداري عن باقي المدينة هيسباليس، وبقيت كذلك حتى يومنا هذا.

فتح الأندلس موسى بن نصير وكان الوليد بن عبد الملك قد كلفه بإمارة شمالي إفريقيا. وقام طريف بن مالك بالاستطلاع أولاً في الأندلس، من شبه جزيرة ما زالت تحمل اسم طريف، وكانت النتيجة أن عزم موسى على الفتح، فأرسل طارق بن زياد على رأس جيش، (٩٤هـ/٧١٢م) وقصة الفتح معروفة. وعندما كلف موسى ابنه عبد العزيز بالإمارة، جعل عاصمته إشبيلية، فكانت أول عاصمة عربية في الأندلس، وكانت تحمل الطابع الروماني، إذ إنّ الوندال (ومنهم كلمة الأندلس) أقاموا فيها ثلاث سنوات فقط. وكانت اللغة هي اللاتينية ثم أصبحت مزيجاً مع الإسبانية كما هي لغة الرومانش اليوم أو اللغة الأعجمية كما يقول المؤرخون العرب.

وتمثل بالطابع الروماني بالحمامات والفوروم والمسرح والمعابد، ومازال قائماً بعض من الآثار الرومانية، ولم يكن العرب القادمون من الشام ومن شمالي أفريقيا غرباء عن نظام العمران الروماني والعمارة، فاستخدموا بداية بعض هذه المنشآت، ولم يمض وقت طويل حتى ابتدأ العمران الإسلامي يحمل خصائص فرضتها الأصول الدينية، كما هي الأمثلة المعمارية التي تركها الفاتحون في بلاد الشام. ولكن الفن الإسلامي، عمارة ونقشاً ولحناً وشعراً، وجد في الأندلس مجالاً جديداً انتعشت فيه الأصالة الإبداعية بأساليب جديدة أكدت هوية الفن الإسلامي والعمارة بشكل خاص. وهكذا شكل العرب في الأندلس حضارة معمارية تحمل سماتهم وخصائصهم الجمالية وصلت أوجها في الجامع الكبير في قرطبة وفي مدينة الزهراء، ثم أصبحت في عهد ملوك الطوائف أكثر تنوعاً، ومثال ذلك فنون قصور الحمراء لبني نصر.



وفي عهد بني عباد ثم في عهد الموحدين، ازدهرت إشبيلية وكان شاهداً على ذلك المسجد ومئذنته الشهيرة والقصور التي زالت، واستعيض عنها بالقصر الكبير الذي أنشأه معماريون مسلمون دَجَنوا في الأندلس بعد زوال الحكم الإسلامي فيه.

لم تكن إشبيلية مهملة أيام حكم الأمويين، وإن كانت العناية بالعاصمة قرطبة أوسع بكثير من باقي المدن، ولكن ظهور ملوك الطوائف في المدن الأخرى، دفع إلى العناية بها كما تم في عهد بني عباد في إشبيلية، وكانت تمتد من شرقي الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي.

وقد عاشت ذروة ازدهارها في عهد المعتمدين عباد ثم في عهد الموحدين.

كان المعتمد ملكاً شاعراً تأثر بابن زيدون، وفي عهده سقطت إشبيلية بيد المرابطين سنة ٤٨٣هـ/١٠٩١م، وأسر بعدها المعتمد ونفي إلى اغمات في المغرب وفيها مات حزيناً كئيباً سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٥م.

وفي عام ١٢٤٩م استولى فرديناند الثالث على إشبيلية وجعلها مركزاً لحكمه، وبعد اكتشاف أمريكا على يد كريستوف كولومبوس، أصبحت إشبيلية منطلق الإبحار إلى العالم الجديد، وبعد موته دفن كولومبوس

في كاتدرائية إشبيلية، التي أنشئت على أنقاض الجامع الكبير.

مازالت معالم إشبيلية العاصمة العربية مازالت قائمة حتى اليوم في حي يطلق عليه اسم ((سانتا كروث))، وهو حي نظيف يعبق بروائح الأزاهير المطلة من شبابيك البيوت في الحارات الضيقة التي تضم بيوتاً عربية، وقد فتحت أبوابها للزائرين يسمرون مع سكان تلك البيوت الجالسين في فناء البيت، حيث نافورة الماء التي تصدح بإيقاعات حيوية، هي الصوت الأكثر ارتفاعاً في حارات ذلك الحي الهادئ الآمن. وهذه الحارات مازالت تحمل أسماءها العربية، مثل طريق العربي وطريق المجد وطريق المورو.. وشارع الماء وميدان السيدة الكبيرة وشارع الفلفل...

ويذكر أحد الزائرين انطباعاته قائلاً: «التعمق في شوارع الحي القديم هو انتقال إلى عالم لاينتمي إلى الحقيقة، إنه خيال، عالم من الهدوء والرهبة، متعة للأذن والعين والإحساس، شوارع ضيقة ملتوية، نظافة فائقة، رائحة الزهور تخترق الحواس إلى الروح.. والشرفات الصغيرة بألوانها الخضراء، والزهور تتدلى منها بألوان وأشكال رائقة، إنها سمفونية بصرية يلعب فيها نغم الياسمين الدور الرئيسي، إنه ملك الزهور في إشبيلية».

وثمة كتابات عربية منقوشة على ألواح الخزف (ازليخو أو الزليج) أو مكتوبة على باب فنان مصور «هذا البيت أقيم قرباناً للجيرالدا العظيم». وأجمل هذه الكتابات ما نقش على عمود تذكاري بالإسبانية: «من مدينة إشبيلية إلى مليكها المعتمد بن عباد في ذكراه المئوية التاسعة».

إن أروع ما في هذه المدينة العربية مئذنة جامع إشبيلية التي يطلق عليها اسم الجيرالدا، وهي رمز إشبيلية حتى اليوم، وإلى جانبها قصر إشبيلية (الكازار) حيث كانت قصور المعتمد بن عباد، ويطلق عليها بالإسبانية «رياليس الكاثاريس» أي القصور الملكية.

إن النهر الكبير الذي يشطر إشبيلية إلى شطرين مازال يحتفظ بالاسم العربي (غوالدا الكبير)، وإذا تغنى به المعتمد وابن زيدون، فقد شاركهم ذلك شعراء إسبانيا المعاصرين من أمثال غارسيا لوركا وخيراردو دييغو الذي يقول «من طين إشبيلية، برج الذهب ذي القيشاني المذهب، على شاطئ النهر العربي».

ومـازال النهر العربي يحتفظ بتاريخه وذكرياته وبالمنشآت المقامة على شاطئيه وبالجنات الرائعة حواليه، حيث كانت مراتع المعتمد بن عباد وصديقه الشاعر ابن عمار. وكان لهما اللقاء الأول مع اعتماد الرميكية.

على هذا النهر العربي قام برج الذهب على الشاطئ الشرقي، وثمة برج آخر على الشاطئ الغربي، وكانت سلاسل تربط بينهما إذا ماشدت حالت دون عبور السفن ليلاً أو حالت دون تسلل المهاجمين.

حكم بنو عباد إشبيلية من عام ٤١٥-٤٨٣هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١م، وكانوا من العرب ويعود نسبهم إلى ملوك الحيرة من اللخميين، وكان الجد الأول قد جاء إلى الأندلس بعد فتحها واستقر في مدينة إشبيلية التي سكنها أهـل حمص، وكـان مـن أعـقـاب هـذا الجد أبو القاسم محمد بن إسماعيل قاضياً عند الخليفة الأندلسي الأموي هشام بن الحكم. ويذكر ابن الأثير (ج٩ ص٢٠١) أن هذا الخليفة كان مُزَوَّراً فهو شبيه للخليفة المفقود. واستمر القاضي يلعب دوراً أساسياً في سياسة البلاد من عام ٤٢٤- ٤٣٣هـ/١٠٣٢- ١٠٤١م تحت رئاسة الخليفة الذي لم يكن له نفوذ، شأنه في ذلك شأن الخلفاء العباسيين في بغداد.

ثم خلفه ابنه أبو عمرو عباد بن محمد الذي أصبح حاجباً للخليفة المزعوم، ثم لم يلبث أن أزاحه واحتل الحكم مكانه تحت اسم المعتضد، أسوة بالخليفة العباسي في بغداد. وحكم المعتضد بين عام ٤٣٣-٤٦١هـ/١٠٤١-١٠٦٨م، وكان شاعراً.

ويقول ابن خلكان (ج٢ ص٤١٢) إنه كان من نصراء الأدب، وقد جعل للشعراء يوماً يقدمون به عليه، فيطارحهم الشعر، ويستمع إليهم، ويسبق بينهم جوائز، ويجيز السابق، وقد أثـر عنه مقطوعات من الشعر فيها طلاوة وجمال.

وخلفه ابنه أبو القاسم محمد الثاني بن عباد، الذي أطلق على نفسه اسم المعتمد بعد أن تعرف على زوجه اعتماد، ومازال يعرف باسم المعتمد بن عباد وقد حكم خلال ثلاث وعشرين سنة ٤٦١- ٤٨٣هـ/١٠٦٨-١٠٩١م وعاش ٥٥عاماً (١٠٤٠-١٠٩٥م).

لقد كـان المعتمد شـاعـراً مجـوداً جعل بلاطه ملقى الـرحـال وموسم الشعراء «ولم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره، من أعيان الشعراء والأدباء، مثل ماكان يجتمع ببابه». ومن شعرائه ابن عمار صديقه ووزيره. وابن اللبانة وابن زيدون.

وتاريخ هذا الملك الشاعر معروف وقصته المأساوية مازالت من عبر التاريخ، فقد حاول الاستنجاد بالمرابطين ضد الفونس السادس ثم السابع وتابعه «السيد» الذي أغار على أراضي بني عباد، وقام يوسف بن تاشفين بنصرته أولاً والقضاء على جيش الفونسو فى معركة الزلاقة ٤٨٠هـ/١٠٨٦م، ثم عاد إلى بلاده. ثم لم يلبث أن أغار على المعتمد وجيشه في اشبيلية وقرطبة وغيرها، واعتقل المعتمد وأرسله مكبلاً بالحديد إلى أغمات في المغرب، فلم يرحل منها إلى أن مات سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م وعند رحيله من إشبيلية شيّعه شعبه الذي أحبه بحماسة وولع، وقال ابن اللبانة شاعر المعتمد في ذلك:

تبكي السماء بمزن رائح غاد
على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها
وكانت الأرض منهم ذات أوتاد
حان الوداع، فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبهم
كأنها إبل يحدو بها الحادي

وكان المعتمد في منفاه يندب مصيره قائلاً:

غريبٌ بأرض المَغْربَين أسيرُ
سيَبْكى عليه منبرٌ وسريرُ
وتندبه البيض الصوارم والقنا
وينهلُّ دمعٌ بينهن غزير

وصلت إشبيلية ذروة ازدهارها في عهد المعتمد بن عباد فلقد كان مولعاً بإنشاء القصور، نذكر منها، قصر المبارك وقصر الثريا وقصر الوحيد والقصر الزاهي وقصر المؤيد، ويبدو من الحديث عنها، أنها كانت مجتمعة في حي ملكي خارج أسوار إشبيلية، وعلى أنقاض بعضها أنشىء قصر إشبيلية الحالي الذي يحوي في أنحائه بقايا أحد قصور المعتمد، تتمثل بعقدين حدويين بينهما عمود يطلان على بهو الجص في القصر الإشبيلي الكبيير الذي يطلق عليه قصر بني عباد.

وعندما أنشئت قصور الحمراء في غرناطة بين القرنين ١٣- ١٤، من بني نصر، كانت إشبيلية تحت حكم ملك كاستيل، فأراد أن ينشىء قصراً يضاهي قصور الحمراء، وطلب من ملك غرناطة محمد الخامس أن يرسل له العمال المسلمين الذين أنجزوا صالة السفراء في غرناطة، لكي ينشئوا ويزخرفوا صالة العدل في قصر إشبيلية ليكون صنوا لقصر غرناطة، فلبى ملك غرناطة طلبه وأرسل إليه خيرة العمال الذي انضموا إلى عمال إشبيلية من الصناع المسلمين المدجنين.

يتبع قصر إشبيلية الذي أنشأه المسلمون، أسلوب القصور الإسلامية المؤلفة من فناء سماوي ذي نافورة مياه، تحيطه الغرف والصالات، مزيناً بأنواع الزخارف الجصية والحجرية بتشكيلات عربية أندلسية. ولم ينس المصممون فن تنسيق الحدائق في الحمراء، فكانت في إشبيلية النموذج الأكثر أصالة حتى اليوم.

وفي موقع آخر خارج المدينة يطل على نهر الوادي الكبير، أنشأ المعتمد قصره المفضل على الضفة الأخرى من النهر، وأطلق عليه اسم قصر الزاهر أو حصن الزاهر تذكيراً بقصر الزاهرة الذي أنشأه محمد بن أبي عامر بالغرب من قرطبة العاصمة، ثم أصبح ضاحية كاملة (وهو غير مدينة الزهراء).

وكان قصر الزاهر من أجمل القصور وأبهاها، يزهو بحدائقه ذات الأشجار المثمرة والزهور، وتغنى به الشاعر الوزير ابن عمار قائلاً:

منظر رائق وماء نمير
وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه، والليل والفجر عندي
عنبر أشهب ومسك أجم

وعندما نفي المعتمد إلى أغمات كان يتذكر قصره هذا ويحنّ إليه ويقول واصفاً أيام سعده في هذا القصر:

فياليت شعري هل أبيتن ليلة
أمامي وخلفي روضه وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا
يغنى حمامٌ أو تدنُّ طيور
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا
تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده
غيورين، والصبُّ المحب غيورُ

ومازالت أطلال هذا القصر مغمورة بالقرب من بلدة إسلامية مازالت تحمل اسم حصن الفرج Aznal- Farache، وتحتاج إلى تنقيب ودراسة.

ومن قصور المعتمد قصر كان يقع خارج باب جهور من أبواب إشبيلية. وفي مكانه أقام الخليفة الموحدي قصره المعروف بالبحيرة.

كانت إشبيلية مدينة محصنة واستمرت أسوارها قائمة بعد الفتح الإسلامي، وقد استقر أهل حمص من جند الشام فيها حتى أصبحت تحمل اسم حمص عند ابن جبير وبعض المؤرخين، ومع زيادة عدد السكان أقيمت منشآت خارج الأسوار، مما دعا إلى هدم أقسام منها لتسهيل ارتباط الأرياف

بالمدينة وبالنهر من جهة الميناء، الذي ازدادت فعاليته في نقل الحاصلات عبر النهر والمحيط الأطلسي.

وكانت إشبيلية قد ازدهرت عمرانياً، وأصبحت بسبب موقعها وفعاليتها مطمع النورمان الذين اقتحموا أسوارها وبخاصة من جهة الميناء، ولم تلبث أن جاءت قوات من قرطبة فقضت على الغزاة وطردوا بقاياهم بعد سبعة أيام من الاحتلال، مما دفع إلى إعادة بناء الأسوار، وأشرف على ذلك عبد الله بن سنان من موالي بنى أمية في الشام، ونقش اسمه على أبواب الأسوار التى أنشئت من حجارة، لعلها من بقايا السور القديم. ولم تلبث هذه الأسوار أن هدمت سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م. فأعيد بناء السور من الطابية يحيط بجميع حومات المدينة، ولكن هذا السور لم يصمد طويلاً أمام غارات الفونسو المحارب سنة ١١٢٥م، فقام قاضي إشبيلية ببناء السور من الحجارة والآجر والكلس على نفقته الخاصة. ثم قام المرابطون ببناء السور وفق نظام جديد، إذ زادوا في تعرجات المداخل في زوايا منكسرة لتسهيل الإيقاع بالغزاة ومقاومتهم من أعلى السور.

وفي عام ٦١٩هـ/ ١٢٢١م أقيم برج الذهب المشهور الذي نراه قائماً اليوم، من قبل أبي العلاء إدريس الذي جدد الأسوار وشيد أمامها سوراً إضافياً يحيط بها، وحفر حولها خندقاً مبالغة بالدفاع والتحصين.

وكانت هذه الطريقة التي ابتكرها الموحدون سبباً في حماية إشبيلية من غزوات الملوك الإسبان وبقي من هذه الأسوار ومتمماتها قسم يبدأ من باب مقارنة وحتى باب قرطبة، ثم ينقطع مسافة صغيرة ويستمر حول المدينة مروراً بحديقة الوادي.

وتدعم هذه الأسوار أبراج مربعة. ويتألف البرج من قسمين، القسم الأول مصمت والقسم العلوي هو غرفة وفوقها أخرى، وهما للدفاع ورمي السهام من خلال المزاغل.

وفى داخل البرج درج للصعود إلى أعلى الأسوار والأبراج، التي تعلو حوافي شرفاتها متاريس دارئة مستطيلة الشكل.

ويبقى برج الذهب أضخم الأبراج، ولكنه منفصل عن جسم الأسوار مستقل عنها، ويبدو حصناً صغيراً تسكنه حامية أمامية للدفاع عن نهر الوادي الكبير، ويرتبط هذا البرج بالمدينة ضمن الأسوار بممر مسوّر لم يبق منه أثر. ولعل اسمه يرجع إلى الكسوة من الخزف الذهبي التي زالت مع الأيام.

ويخترق أسوار إشبيلية عدة أبواب، هي باب قرطبة، وباب قرمونة، وباب مقارنة، وباب شريش، وباب طريانة، ثم باب الكحل وباب دار الصناعة أو القطائع، وباب تاسع هو باب جهور. وزالت هذه الأبواب جميعها ولم يبق إلا باب قرطبة.

وعدا هذه الأسوار التي كانت تحيط إشبيلية، أنشىء في ضواحي المدينة حصون دفاعية أخرى، منها حصن الفرج في ضاحية طريانة ٥٨٦هـ/ ١١٨٩م، وضمن هذا الحصن أنشئت قصور وقباب، وأصبح هذا الحصن مقراً صيفياً للخلفاء الموحدين ومركزاً دفاعياً متقدماً لإشبيلية. وفي منطقة الشرف على بعد ٢٥كم جنوب غربي إشبيلية، مازالت أطلال حصن القصر تحمل اسم Alcazar. وكان المعتمد بن عباد قد أنشأ فيه قصره. ومازالت آثار من الحصن ممثلة بجزء من السور بطول٢٠متراً وارتفاع أربعة أمتار وبرج ضخم.

أما قلعة جابر التي تقع على بعد ١٢كم غربي إشبيلية، فهي من أهم الحصون الأندلسية المتبقية حتى اليوم، وهي تشمل أسواراً وأبراجاً وقصوراً ودوراً ومسجداً جامعاً وحوانيت، أي أنها بمثابة مدينة صغيرة، وتسمى اليوم قلعة وادي إلديرة Guadaira وهي تسمية تعود إلى عصر الموحدين الذين جددوا بناءها وزودوا أسوارها بالخنادق والأسوار، وقد خرب الفرنسيون كثيراً من أبراجها.

ويبقى جامع إشبيلية من أبرز المنشآت الإسلامية في إشبيلية، ومع أن مئذنة الجامع أصبحت برج أجراس ثالث كاتدرائية في العالم، إلا أن هذه المئذنة تبقى الآبدة الأكثر تعبيراً عن ازدهار العمارة والحياة الإسلامية في إشبيلية عاصمة المعتمد بن عباد، ثم عاصمة الموحدين، ومازالت ترى من جميع الجهات وعلى بعد قصى رمزاً للمدينة.

ويعود جامع إشبيلية إلى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٧م وأجريت عليه تعديلات حتى عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ولقد كان المعمار الذي صمم المسجد وهو أحمد بن باسو، وساعده في ذلك معماريون من إشبيلية ومن مراكش ومن فاس، واستمر البناء أربع سنوات بإشراف الخليفة أبو يعقوب يوسف، الذي عاد بعد انقطاع إلى إشبيلية كي يأمر بإنشاء المئذنة، وتم إنشاؤها في عهد خلفه المنصور، بإشراف المعمار أحمد بن باسو نفسه أولاً، وبعد وفاته تابع المعمار علي الجميري العمل بإشراف

العالم ابن زهر مندوباً عن الخليفة وقد جاء من مراكش. ونهضت المئذنة شامخة كأروع منجزات العمارة الإسلامية، وهي مازالت على كمالها رغم الزلازل.

ويصعد إلى أعلى المئذنة من داخلها على منحدر لولبي عبر سبع غرف متوضعة فوق بعضها، وفي الأعلى غرفة المؤذن وحولها شرفة مفتوحة، ويعلو هذه الغرفة جامور نحاسي مذهب، كان المنصور قد أضافه تذكاراً لانتصاره على الفونسو، مؤلف من ثلاث كرات مذهبة يطلق عليها اسم «التفاحات»، وقطر الأكبر حجماً ثلاثة أمتار، ولقد سقط الجامور عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦ بتأثير الزلازل فكان وزنه ٢٨٣٥كيلو غراماً منها أكثر من ٣٥كغ من الذهب، وكان إشعاع هذا الجامور الذهبي يصل إلى مسافة يوم من المئذنة كما يقول المؤرخون.

يبلغ ارتفاع المئذنة -عدا الجامور- ٦٥متراً، وعرضها من كل جانب ١٣,٥ متراً بينما يبلغ ارتفاع مئذنة الكتبية في مراكش ٦٨متراً وعرضها ١٣متراً، أما مئذنة حسّان في الرباط فيبلغ ارتفاعها ٥٠متراً وعرضها ١٦متراً. وتتشابه هذه الصوامع الثلاث في كسوتها الخارجية المؤلفة من زخارف هندسية آجرية، ونوافذ مزدوجة تدخل النور إلى المصاعد.

بعد احتلال الإسبان سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٨م هاجر أكثر المسلمين من إشبيلية كرهاً، وبعد عام ١٤٠٠م أضيف إلى أعلى المئذنة حواجز عالية حول غرفة المؤذن وأضيفت قمة معمارية فوقها يعلوها شاخص اسمه الجيرالدا، ومنه أصبح اسم المئذنة.

وعلى أنقاض الجامع أنشئت كاتدرائية أصبحت الجيرالدا «برج أجراسها».

كان المسجد واسعاً مؤلفاً من حرم يحيط الصحن وكان الحرم مؤلفاً من سبع عشرة بلاطة، الوسطى منها مغطاة بخمس عشرة قبة متعاقبة باتجاه المحراب. على غرار جامع الكتبية في مراكش. ويتفتح باب المسجد من الحرم في الجهة الجنوبية وهو مغطى برواق مقبب.

ويذكر ابن صاحب الصلاة في مدونته وصفاً دقيقاً لمنبر جامع إشبيلية فيقول: «صنع المنبر من أغرب ماقدر عليه الفعلة من غرابة الصنعة، واتخذ من أكرم الخشب مفصلاً منقوشاً مرقشاً، محكماً بأنواع الصنعة والحكمة في ذلك من غريب العمل وعجيب الشكل والمثل، مرصعاً بالصندل، مجزعاً

بالعاج والأبنوس.. يتلألأ كالجمر بالإشعال، وبصفائح من الذهب والفضة، وثمة أشكال في عمله من الذهب الإبريز يتألق نوراً، ويحسبها الناظر لها في الليل البهيم بدوراً، ثم أردفت له بالعمل، المقصورة من أحسن الخشب مختصرة من قضبه، وثيقة لحجبه».

وصحن المسجد محاط بأروقة، وينفتح في واجهة الحرم باب ضخم في الوسط، وبتوسط الصحن بركة ماء، وتقع المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية للحرم.

وكانت تكسو مصراعي باب جامع إشبيلية زخارف هندسية مسدسية من البرونز تتناوب في وضع أفقي ورأسي، تقوم بينها أشكال نجمية، وفى الأشكال المسدسية الرأسية توريقات نباتية، وتحوي الأفقية كتابات كوفية مزخرفة بتوريقات نباتية. وهذه الكتابة تحمل العبارات الدينية: «الملك لله البقاء لله». ويحيط بالمصراعين إفريز من الكتابة الكوفية.

وعلى المصراعين ضبتان برونزيتان (قارعتان) على شكل ورقة نباتية محوّرة مؤلفة من حنيات متصلة، وبداخلها أوراق مخرمة ذات أطراف مدببة، ويحيط بالضبتين كتابة نسخية من القرآن الكريم، على الضبة اليمنى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال، رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ وفي الضبة اليسرى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا مافي صدورهم من غل، إخواناً على سرر متقابلين لايمسهم نصب وماهم منها بمخرجين﴾.

لقد حمل المسلمون من المشرق عادة الاستحمام في حمامات عامة، حتى بلغ عدد الحمامات في قرطبة التي أصبحت تابعة لابن عباد، تسعمئة حمام، عدا حمامات النساء فكانت ثلاثمئة، وكان الحمام في إشبيلية مؤلفاً من مدخل يؤدي إلى ثلاث قاعات أو أربع مقباة، عدا ملحقات الحمام، الموقد والمرحاض. ويؤدي الحمام إلى ردهة تليها حجرة تعلوها قبوة وتعرف باسم البيت البارد وهي مخصصة لخلع الملابس. وقد يكون قبلها غرفة تسمى غرفة المستراح تعلوها قبة كبيرة وقبوات جانبية ذات فتحات تسمى المضاوي، وبعد البيت البارد ندخل إلى البيت الساخن وفي نهايته الموقد ويسمى (القدر) أو (البرمة) أو (الفرنش)، وتخرج من القدر أنابيب الماء الساخن والبارد، وتدخل في الجدران لتصب في أحواض الخلوات.

ويذكر المؤرخون أن المعتضد بالله احتال على أعدائه مرة وهم في الحمام فأقفله عليهم فهلكوا على آخرهم.

وكان في إشبيلية عدد من الفنادق لم يعد لها أثر، ولعل أكثرها كان في موقع أحد شوارع إشبيلية الذي يحتفظ باسم شارح الفندق Calla de la Fondiga.

ويتألف الفندق من بهو مستطيل أو مربع تتوسطه فوارة، تحيطه مجنبات أو دهاليز، وتتوزع الغرف وراءها، وكان الفندق من طابقين، الأدنى للمخازن والاصطبلات، والأعلى لغرف النزلاء، وتقوم عقود المجنبات على دعائم خشبية أو آجرية تربطها ببعضها أوتار خشبية. وثمة درجات للصعود إلى الطابق الأعلى، وكان المدخل ضخماً مؤلفاً من عقد محاط بإطار مستطيل مزيّن بتوريقات، ويلي المدخل ردهة ذات قبوة مقرنصة مهدّية. وتؤدي الردهة إلى البهو من خلال باب تعلوه نافذة مزدوجة.

كذلك تحتفظ إشبيلية حتى اليوم بشارع يطلق عليه اسم شارع القيسارية، والقيسارية في الأندلس هي مجموعة أسواق تتوزع فيها الحوانيت على الصفين. وكانت قيسارية إشبيلية تحيط جامع ابن عدبس. ويحدثنا ابن عبدون في كتابه عن آداب الحسبة، عن هذه القيسارية وكانت تضم سوق الثياب وسوق الخياطين الذي يسمى اليوم Calla de los alfayates، وسوق الصباغين وسوق السقاطين، وسوق الصاغة وسوق العطارين. واستمرت هذه القيسارية قائمة حتى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م إذ أمر أبو يوسف يعقوب المنصور بهدم الديار والحوانيت والفنادق التي كانت تحيط بساحة المسجد الجامع. وأقام مكانها قيسارية «تأنق في بنائها، وجعل لها أربعة أبواب ضخمة تحوطها من جوانبها الأربعة، أكبرها الباب القبلي والباب الشمالي، وكانا يقابلان بابي الجامع القبلي والشمالي».

وبعد اكتمال عمارتها نقلت إليها أسواق العطارين والبزازين والخياطين، وتزاحم الناس في المزايدة بكرائها، فنما الخراج في ذلك الوقت، وعمر الجامع بالصلوات فيه. ويغلب على الظن أن أسقف هذه القيسارية الإشبيلية كانت من ألواح الخشب المنقوشة بالزخارف النباتية والتوريقات، كما كان الحال في قيسارية مراكش.

وفى إشبيلية، مازالت آثار دار الصناعة (الترسانة) قائمة حتى اليوم، وهى تعود إلى

عهد الناصر الخليفة الموحدي، وكانت تتألف من عدة أروقة عمودية على نهر الوادي الكبير، تفصل فيما بينها دعائم آجرية، وتعلوها قبوات مرتفعة. وقبلها كان أبو يعقوب يوسف «قد أنشأ داراً لصناعة القطائع تتصل من سور القصبة الذي على الوادي، بباب القطائع إلى الزاوية السفلى المتصلة بباب الكحل، وكان ذلك سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ويطلق عليها اسم altarazana وهي كلمة عربية «الترسانة».

وعلى نهر الوادي الكبير كان لابد من إقامة الجسور والقناطر التي تنقل المياه إلى القصور والحدائق وتغذي المدينة بالمياه العذبة. ومازالت بقايا جسر كبير قائمة بالقرب من باب قرمونة، وبعض عقود هذا الجسر من الآجر والبعض الآخر من الحجارة. وثمة قنطرة كانت قائمة في إشبيلية على النهر الكبير محمولة على سفن مربوطة بناها أبو يعقوب يوسف سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م.

وعلى الرغم من ازدهار إشبيلية عمرانياً في عهد الموحدين فإنها ما زالت تحمل اسم مليكها المعتمد بن عباد حتى اليوم، واستمرت أبنيتها قرنين كاملين محافظة على الطراز الإسلامي، الذي أصبح يحمل اسم الطراز المدجن Modejar في العهد الإسباني.

